قاهرة اسماعيل

فى هزات التاريخ المعمارى

دكتور سيد كريم
Dr. Sc. Techn. Arch.

« انى عقدت العزم على أن اكرس كل مجهودى لاسعاد شعبى الذى اسندت الى ادارة شؤونه ولقد عاهدت نفسى على تحقيق ذلك بكل وسيلة ممكنة وساعمل على ابطال كل ما يحول دونه اطراد تقدم البلاد »

تلك هى كلمة اسماعيل الخالدة التى استهل بها برنامجه الاصلاحى عند ما تولى عرش وادى النيل وهى تمثل شخصيته اصدق تمثيل وتكشف القناع عن الدافع الى تلك النهضة العمرانية التى وضعها نصب عينيه والرغبة الملحة فى تحقيق برامجها مهما كلفه ذلك من مجهودات وثمن وفى مقدمتها المشروعات الحيوية التى تمت فى القرن التاسع عشر .

لقد هال اسماعيل عند ما تولى عرش مصر ما انحدرت اليه بلاده واحزنه توقف عجلة الاصلاح التى افنى محمد على زهرة العمر في ادارتها — هاله ان يجد القاهرة عاصمة بلاده . . وقبلة انظار العالم قد بدأت فى الانحلال . . اصبحت لاتزيد عن مدينة صغيرة تمتد من سفح المقطم والقلعة وتنحدر غربا لتنتهى عند ميدان العتبة الخضراء لتحدهـــا مجموعة من المرافق والخرائب والمستنقعات . آلمه عند ما نادى « بان مصر قطعة من اوروبا » ما قامت به الصحافة الاوربية من حملة مدبرة ضد السياحة الى مصر بقولها

« خير لك ان تسمع عن القاهرة من ان تراها » ووصف بعضهم اياها بقولهم عاصمة البعوض « والبلد التى يقضى الزائر فيها طول العام تحت الناموسية » وغير ذلك من الانتقادات اللاذعة .

فبينما كانت صور القاهرة تضم مناظر القلعة والمآذن وهى تطل على النيل الساحر كانت القاهرة نفسها تبعد عن شاطىء النيل ما يزيد عن الاربعة كيلومترات من البرك والمستنقعات الراكدة والهضبات والتلال تمتد من ميدان الملكة فريدة الحالى الى شاطىء النيل والتى كانت مرتعا للبعوض .

كانت تلك البرك سببا فى انتشار وباء الملاريا الذى بدأ فى السنة الاولى من حكم الخديوى اسماعيل واستمرت مكافحته عدة سنوات فتك فيها بعدد غير قليل من السكان .

لم يكن بالقاهرة مجار عامة وكانت مبانيها تنقصها مبادىء الاشتراطات الصحية فكانت فضلات المساكن ومياهها العادمة تجمع فى مجارير اولية وزيادة عن كون تلك المجارير قد تحول معظمها الى مرعى خصب لتفريخ الناموس وكانت مياهها تتسرب الى البرك والمستنقعات وكان الكثير من الاحياء الوطنية يستعمل هذه المياه للشرب والغسيل مما ساعد على انتشار حمى التيفويد وغيرها من الحميات — وكثيرا ما كانت المجارى تطفح على سطح الشوارع والميادين حين ارتفاع منسوب مياه الفيضان فيضع الجمهور قوالب الطوب الاحمر ليمر فوقها فى ميادين المدينة كما كان يحدث كثيرا فى ميدان قنطرة الدكه وميدان جامع ازبك وكان من اثر تشبع الارض بالمياه الجوفية المرتفعة المنسوب ان اصبح الارتفاع بالمبانى مستحيلا كما ساعد ذلك على تصدع كثير من دور الاحياء الوطنية المنخفضة — وكان من أثر تسرب مياه المجارى الى المستنقعات الراكدة انتشار الذباب في معظم الاحياء انتشارا لم يسبق له مثيل ولم يغفله كتاب ذلك العصر فى وصفهم للقاهرة فى ذلك الوقت .

أما نهر النيل فكان يبعد عن القاهرة وكان فرعه الرئيسى يمر بمنطقة الجيزة وبولاق الدكرور والدقى ممتدا الى امبابه بينما فرعه الآخر الذى تطل عليه القاهرة كان راكدا وتنحسر عنه المياه أكثر فصول السنة فكان السقاؤون ينقلون الماء الى المساكن من مائة الراكد الآسن .

كانت مداخل القاهرة من جميع نواحيها عنوانا سيئا لا يتفق مع كرامة المدينة وماضيها فكانت تحاط شمالا عند مدخل المحطة بحقول الفجل وبعض القرى المخربة وغربا بالمدافن والتلال الرملية ومستنقعاتها والجهة القبلية بخرائب مصر العتيقة وتلال زينهم .

هكذا كانت القاهرة عند ما تسلمها الخديوى اسماعيل . . تركة مثقلة . . ولكن حبه لشعبه زاده حماسا فى التضحية لاقامتها من عثرتها ودفعها لا لتقف على قدميها فحسب بل لتأخذ ماتصبو اليه من مكانة بين كبريات عواصم دول الغرب . كان بعيد الامل حيوى التفكير شديد الرغبة فى الابتكار والتجديد فلم تزده الحملات المدبرة الا عنادا فتغلب باخلاصه العميق لشعبه على ما اعترضه من عقبات سياسية واقتصادية وضحى بنفسه بعد أن حقق بعض ما كان يصبو اليه ليترك القاهرة تسير بقوة دفعه عشرات السنين .

مشروع قاهرة اسماعيل « أو باريس الشرق » كما سماها الخديوى اسماعيل نفسه متحديا بذلك تلك الحملات الانتقادية التى وجهتها صحافة الغرب إلى مشروعاته العمرانية . هو مشروع إصلاحى عام يحوى فى جوهره رسالة وطنية صادقة يتكون هيكلها من برنامج صحى واجتماعى وعمرانى واقتصادى واسع النطاق ... رسالة المت بجميع ما كان ينتاب القاهرة فى ذلك الوقت من علل وادواء فعملت على تطهير القاهرة منها .

وتتكون خطوات الإصلاح التى اشتمل عليها ذلك البرنامج مما يلى :

(١) إزالة التلول والخرائب التى كانت تحيط بالقاهرة من جميع نواحيها وتمهيد أراضيها واعدادها للبناء .

(٢) ردم البرك والمستنقعات التى كانت منتشرة فى جميع أحياء القاهرة والتى كانت تفصلها عن نهر النيل وكان معظمها مرتعا خصباً لانتشار البعوض وقد بلغ ما قام بردمه من البرك ما لا يقل عن العشرين بركة ومستنقع تبلغ مساحتها ما يزيد عن المائتى فدان ،

(٣) نقل المدافن التى كانت تقع فى وسط القاهرة وتحويل مواضعها إلى ميادين وأحياء للسكن .

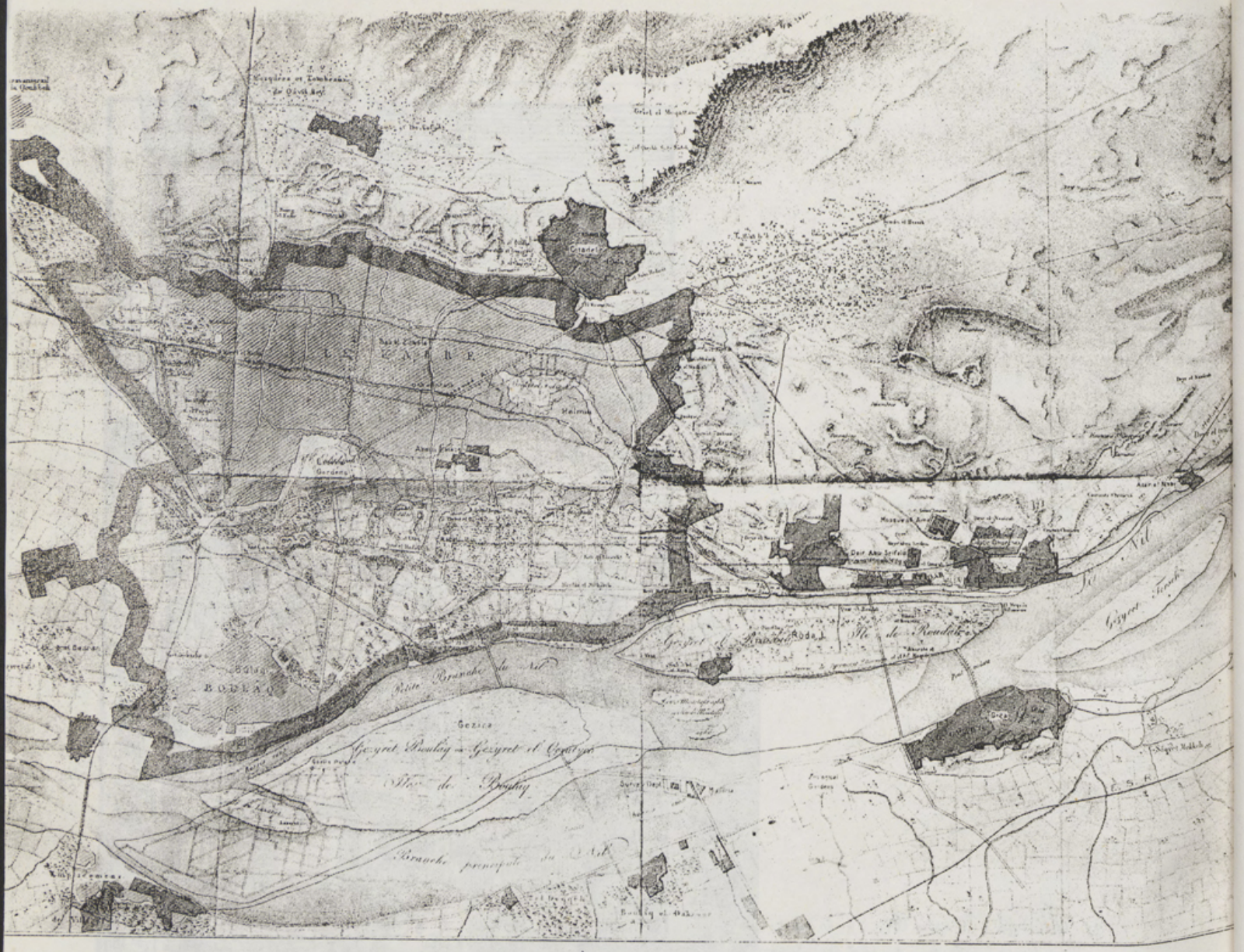

خريطة القاهرة للحملة الفرنسية مبينا عليها التعديلات التى أدخلها اسماعيل

(٤) تزويد القـــاهرة بالماء الصالح للشرب ووقاية الشعب من استعمال المياه الرا كدة والآسنه وذلك بردم البرك من نياحة وتعديل مجرى النيل ووضع مشروع تزويد القاهرة بالمياه المرشحة .

(٥) تجفيف الأراضى وعمل مشروع مجارى القاهرة ولم يتحقق تنفيذ الجزء الأخير منه إلا فى سنة ١٩٠٩ على يد كاركت جيمس.

(٦) رصف الطرق وغرسها بالأشجار ووقايتها من القاذورات .

(٧) تزويد القاهرة بالحدائق العامة التى تعد بمثابة رئتى التنفس للمدينة لما تقوم به من دور أساسى فى الصحة العامة للشعب .

(٨) تعمير الأحياء الفقيرة وإصلاحها وتزويدها بمياه الشرب والنسيل .

شارع قديم بالقاهرة وترى به مسجد الأمير أزبك اليوسفى الواقع بحى ابن طولون ويرجع إنشاء هذا المسجد إلى سنة ١٤٩٩ م

(٩) إصلاح مداخل القاهرة وإزالة ما يشوهها من خرائب .

(١٠) اعداد طرق النقل والمواصلات داخل المدينة ورصف الشوارع بعد تجفيفها .

وليحقق هذ البرنامج الإصلاحى المشعب النواحى أجله الخديوى اسماعيل فى مشروع تخطيطى كامل لبعث القاهرة وإعادة تعميرها يسمى ببرنامج المشروعات السبع لأنه يتكون فى تخطيطه المدنى من سبعة مشروعات حيوية ضخمة يسيطر كل منها على منطقة بأكملها وضم بين طياته ناحية هامة من نواحى الإصلاح واتصلت تلك المشروعات السبع ببعضها البعض لتكون أكبر مشروع تخطيطى مهد لأوسع تطور عمرانى مرت به القاهرة خلال تاريخها المعمارى الطويل ... ويمكن تلخيص تلك المشروعات فيما يلى :

(١) مشروع تحويل مجرى النيل: كان المجرى الرئيسى يمر فى الجهة الغربية محاذيا لشارع الدقى الحالى مارا ببولاق الدكرور وامبابه

لوكاندة الشرق كما كانت سنة ١٨٦٤ وبجوارها جامع الأمير أزبك وقد هدم هذا الجامع عند تنظيم ميدان العتبة الخضراء وفتح شارع محمد على من سنة ١٨٧٠ — سنة ١٨٧٥.

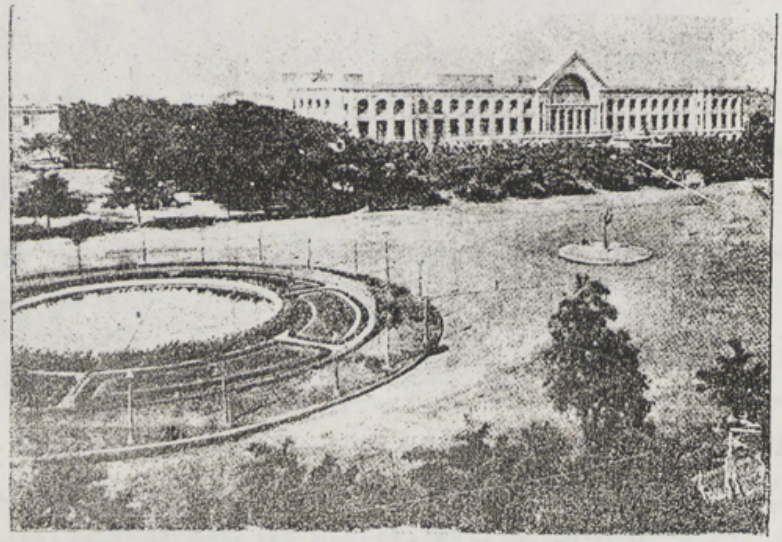

ميدان التياترو (ميدان الأوبرا) كما كان فى عهد اسماعيل وقد ظهر فى مؤخرته لوكندة نيو أوتيل » المعروفة الآن بلوكندة الكونتنتال .

بينما كان الفرع الشرقى أو النيل الحالى عبارة عن سيالة ضيقة تنحسر عنها المياه أكثر فصول السنة لارتفاع منسوب قاعها وكان السقاؤون ينقلون المياه منها إلى أحياء القاهرة فكانت سبباً فى انتشار كثير من الأمراض كما كانت تلك السيالة فى نفس الوقت موطنا للبعوض .

فلما تولى الخديوى اسماعيل عرش مصر فى سنة ١٨٦٣ وضع فى مقدمة مشروعاته الإصلاحية لتعمير مدينة القاهرة مشروع تحويل مجرى النيل الأصلى من الجهة الغربية إلى الجهة الشرقية محاذيا لمدينة القاهرة .

وقد بدأ ديوان الهندسة بإجراء عملية التحويل باقامة جسر فى النيل فى أواخر سنة ١٨٦٣ يبدأ من مدينة الجيزة ويمتد إلى امبابه وقد تمت تلك العملية فى سنة ١٨٦٥ وأخذ النيل يسير فى مجراه الحالى وبذلك تم أول مشروع حيوى كان له أكبر أثر فى تكوين قاهرة اليوم.

(٢) مدخل القاهرة ومنطقة الفجالة: كان أول ما يستقبل الزائر أو السائح الأجنبى عند وصوله إلى مدينة القاهرة عن طريق السكة الحديد منطقة الفجالة التى اشتهرت بمزارع الفجل وحقوله التى تغذى أحياء القاهرة الفقيرة وكان يصفه الأجانب فى حملاتهم المدبرة لمهاجمة الخديوى

اسماعيل ومشاريعه التعميرية بأنه الغذاء القومى للمصريين ولذا أطلق على تلك المنطقة إسم الفجالة نسبة إلى زراعى الفجل وكانوا يسكنون فى قرية خربة تسمى قرية كوم ريش تحولت إلى مجموعة من الخرائب والاطلال تعد أقبح دعاية للقاهرة عاصمة البلاد وكان ميدان المحطة الحالى عبارة عن مجموعة من التلال والكثبان فقام الخديوى اسماعيل بإزالة تلك الخرائب والتلال واستعمل اتربتها فى ردم البرك والمستنقعات المنتشرة فى المنطقة الممتدة بين حى الفجالة والسـكاكينى وتسوية المنطقة بأكملها بما فى ذلك ميدان المحطة الحالى وقسمت أرضها وزرعت نهيا الحدائق وخطت فيها الشوارع وبنيت مجموعة من القصور الفاخرة لا يزال بعضها قائم إلى الآن حتى تحولت المنطقة إلى حى من أجمل أحياء السكن بالقاهرة وكثرت الرغبة فى سكناها حتى ارتفعت قيمتها ووصل سعر المتر المسطح فيها مالا يقل عن الجنيه بعد ما كان سعره لا يزيد عن بضعة قروش — كما قام الخديوى اسماعيل بإصلاح مدخل القاهرة الزراعى وهو طريق شبرا الرئيسى وكذلك مدخلها الصحراوى من طريق الأهرام .

(٣) منطقة عابدين : كانت منطقة عابدين « قلب القاهرة » عبارة عن مجموعة من البرك الراكدة منها بركة الفراعين وكانت تقع مكان ميدان سراى عابدين الحالى ثم بركة السقايين وبركة الفوالة وبركة الناصرية ومجموعة كبيرة من البرك الصغيرة والمستنقعات تتخللها سلسلة من الهضبات وكثبان الرمال والقلاع الفرنسية تمتد من منطقة السيدة زينب الحالية إلى نهاية شارع المبتديان فقام الخديوى اسماعيل بتسوية تلك الهضاب والمرتفعات وردم البرك باتربتها فاصبحت تلك المنطقة بعد تخطيطها من أجمل أخطاط القاهرة الحديثة ونقل اليها مقر الوالى بعد أن كان في القلعة وقصر الجوهرة فى عهد محمد على باشا الكبير وخلفائه فأنشأ الخديوى اسماعيل سراى عابدين مقر الملك الرسمى إلى الآن بناه فى سنة ١٨٧٤ على إطلال قصر عابدين بك احد المماليك وكان يطل على بحيرة الفراعين التى أنشأ اسماعيل باشا مكانها ميدان عابدين الحالى والذى تبلغ مساحته ما يقرب من التسعة أفدنة وأقام على احد جوانبه قشلاقات الحرس ثم قام بتخطيط المنطقة بأكملها بعد ما ردم ما كان حولها من البرك مثل بركة الناصرية وبركة السقايين وبركة الفوالة وبمجموعة من المستنقعات كما أزال ما كان يتخلل المنطقة من الأكوام والتلال وخط عدة شوارع أهمها شارع عابدين الحالى وشارع عبد العزيز الذى سمى بهذا الاسم نسبة الى السلطان عبد العزيز التركى بمناسبة زيارته لمصر فى عهد اسماعيل حتى أصبح هذا الحى من أجمل أحياء القاهرة وأجدرها بمقر الملك .

(٤) منطقة الأزبكية أمر الخديوى اسماعيل فى سنة ١٨٦٧ بردم بركة الأزبكية وما كان يحيط بهـا من مستنقعات وتحويل جزء منها إلى حديقة عامة تحت إشراف المهندس الفرنسى باريل بك وغرست فيها الأشجار النادرة التى جلبت من جميع بقاع العالم وحولت إلى متنزه عام تبلغ مساحته ٢٠ فداناً لتكون بمثابة رئتى التنفس لاحياء القاهرة المكتظة بالسكان وامتد تخطيط المنطقة إلى الجزء المعروف حاليا بشارع وجه البركة شمالا والاجزاء الجنوبية منها تحولت إلى ميدان التياترو الذى سمى فيما بعد ميدان الأوبرا .

وبعد إنشاء حديقة الأزبكية خططت المنطقة بأكملها بما فى ذلك شارع كلوت بك وميدان العتبة الخضراء وأقيم بها تمثال ابراهيم باشا الذى نقل فيما بعد إلى ميدان الأوبرا وكانت منطقة العتبة الخضراء قبل أن يقوم الخديوى اسماعيل بتخطيطها عبارة عن مجموعة من المرافق والمقابر « المعروفة باسم ترب المناصرة وترب الازبكية وجامع السلطان أزبك الذى سميت المنطقة على إسمه فشمل التخطيط إزالة الجامع والترب فى سنة ١٨٧٠ وشق شوارع رئيسية مكانها وهى شوارع محمد على والموسكى لتخترق الأحياء القديمة وتصل قلب القـاهرة الحديثة بكل من حى القلعة وقصورها وميدان المحطة عن طريق شارعى كلوت بك وابراهيم باشا ووصله بحى عابدين بإنشا شارعى عبد العزيز وعابدين .

(٥) الشاطىء الشرقى : وتعتبر تلك المنطقة أكبر اتساعا فى مشروعات التعمير والتخطيط حيث وصلت القاهرة القديمة بشاطىء النيل الشرقى وتشمل إزالة جميع التلال والهضبات واستعمال أتربتها فى ردم البرك والمستنقعات التى كانت تمتد من شارع عماد الدين الحالى وإمتداده المعروف حالياً بشارع محمد بك فريد وبين شارع الملكة نازلى ومريت باشا وجنوباً إلى القصر العينى وتشمل اخطاط الاسماعيلية

شارع الهرم كما كان فى عهد اسماعيل

شارع شبرا فى ذات الوقت

والتوفيقية ومعروف وباب اللوق والدواوين والحوياتى والقاصـــد والإنشا والمنيرة ـــ وبدأ الخديوى اسماعيل بوضع مشروع تخطيطى لها بعد أصلاحها يتوسطه ميدان الاسماعيلية الذى تمتد منه الشوارع الرئيسية المتسعة وقسمت إلى مجموعة من الأحياء أنشئت فيها مجموعة من الميادين الرئيسية الموجودة بالقاهرة حالياً وقد وصف على مبارك باشا ذلك المشروع فى كتاب الخطط التوفيقية بقوله :

« وكان بهذه المنطقة قبل عهد اسماعيل كثبان أتربة وبرك ومياه وأراضى سباخ فلما جاء الخديوى اسماعيل أمر بإزالة هذه الكثبان وردم هذه البرك وتمهيد جميع الأرض وتخطيطها إلى شوارع وميادين وجعلت منازلها متفردة عن بعضها ودكت أرض شوارعها بالدقشوم وأنشئت الأرصفة على جانبى كل شارع منها وجعل وسط الشارع للعربات والحيوانات ومرت فى جميعها مواسير الماء لرش أرضها وسقى بساتينها ونصبت فيها فوانيس الغاز لاضاءتها وتنويرها فأصبح خط الاسماعيلية من أبهج أخطاط القاهرة وأعمرها ».

وعندما وصل التخطيط إلى شاطىء النيل أقام الخديوى اسماعيل سراى الاسماعيلية على الضلع الجنوبى للميدان وقد هدمت هذه السراى فى عهد الاحتلال الانجليزى ولم يبق من هذه السراى الضخمة إلا المسجد الذى كان ملحقا بها ويقع فى الجنوب الغربى من السور الخارجى القديم وجنوب سراى الاسماعيلية كانت مجموعة من القصور الملكية أهمها قصر الدوبارة والقصر العـــالى وكانا يطلان على النيل من الغرب وشارع قصر العينى شرقاً وكان يضمها سور واحد مرتفع وقد هدما حوالى سنة ١٩٠٠ وقسمت أراضيها وتحولت إلى المنطقة المعروفة حالياً باسم جاردن سيتى .

المنازل المطلة على بركة الفيل كما كانت سنة ١٨٦٥

(٦) الشاطىء الغربى : عندماتم تحويل مجرى النيل تخلف عن المنطقة الغربية من مجراه القديم الذى انحسر عنه الماء أراض واسعة بين شارع الجيزة الحالى وشارع فاروق الأول (البحر الأعمى سابقاً) تمتد بين الجيزة وأمبابة فقامت إحدى الشركات الفرنسية بردم القسم الجنوبى بمعاونة رجال العونة في المسافة بين مدينة الجيزة وشارع ثروت وبلغ إرتفاع الردم فى معظم أجزائها مايزيد عن المترين أما المنطقة البحرية أى من شارع ثروت إلى إمبابه فقد طمت أرضها بتحويل مياه الفيضان عليها وتركها حتى يرسب ماتحمله من طمى .

وقام اسماعيل باشا بتحويل القسم الجنوبى منها إلى أورمان أى غابة جلب اليها أنواع الأشجار من آسيا وأوروبا وأمريكا وقام برسمها وتخطيطها المهندس باريل بك الذى سبق له تنظيم حديقة الأزبكية وتبلغ مساحة تلك الغابة ٤٦٥ فداناً وكانت تشمل حدائق الأورمان الحالية وحدائق الحيوان وتمتد حتى تصل إلى سراى الجيزة بمبانيها الفخمة والتى كانت تقع موضع مخازن الترام بشارع المدارس.

(٧) منطقة الزمالك ووصل الشاطئين: لقد ترتب على تحول مجرى النيل الرئيسى من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية أن تسلط تيار النهر على الجزء الجنوبى من الجزيرة الكبيرة وكان ساحلها الجنوبى قريب الاتصال من جزيرة الروضة — كذلك أثر فى الساحل الشرقى للجزيرة فتآكل جزء كبير منه عند توسيع مجراه خصوصاً فى المنطقة المواجهة لحى بولاق وكان الشاطىء البحرى للجزيرة ينتهى عند شارع فؤاد الأول الحالى حيث تبدأ المنطقة المعروفة حالياً باسم الزمالك ولم يكن موجود بها في ذلك الوقت سوى قصر للنزهة أنشأه محمد على مكان نادى الضباط الحالى .

وقد نقل النهر ما تآكل من جنوب الجزيرة وشاطئها الشرقى إلى ساحلها الشمالى وبذلك تم تكوين منطقة الزمالك الحالية — والزمالك لفظ الباقى معناه الخص أو العشة وقد وصفها محمد بك رمزى رحمه الله بقوله « وكان بالقرب من قصر محمد على ، زمالك ، يصطاف فيها رجال الحاشية وعساكر الحرس فعرفت المنطقة منذ ذلك الوقت باسم الزمالك ، ثم أطلق فيما بعد على الجزيرة

بأكملها فسميت بجزيرة الزمالك وقام الخديوى اسماعيل بتخطيط الجزيرة وأقام على ساحلها الشرقى سراى الجزيرة سنة ١٨٦٨ (فى مكانها المعروف الآن باسم سراى لطف الله) لنزول الامبراطورة أوجينى زوجة نابليون الثالث بمناسبة زيارتها لمصر لحضور الاحتفال بافتتاح قناة السويس وأمر الخديوى اسماعيل المهندس باريل بك بتحويل الأراضى الزراعية المحيطة بهذه السراى إلى حدائق ملكية تبلغ مساحتها ٦٠ فداناً.

كما أنشأ أول كوبرى بالقاهرة على النيل وهو كوبرى قصر النيل سنة ١٨٧١ وهو أول كوبرى نشأ على النيل من منبعه إلى مصبه وأمكن بواسطته ربط شاطىء النيل ببعضهما وتمكين سكان القاهرة من اجتياز النيل إلى الجزيرة والشاطىء الغربى وأقام على الفرع الغربى (البحر الأعمى) للنيل قنطرة صغيرة قبل أن يظهر الفرع وتجرى فيه الماء وقد استبدل كوبرى قصر النيل سنة ١٩٣٣ فى عهد الملك الراحل فؤاد الأول رحمه‌الله بكوبرى الخديوى اسماعيل الحالى كما استبدلت القنطرة الصغيرة بكوبرى الانجليز الحالى سنة ١٩١٤.

عند ما أتم الخديوى اسماعيل وضع ذلك البرنامج الاصلاحى الشامل وأعد خطوات تنفيذه كان المهندس العالمى هاوسمان قد أتم مشروعه الذى قدمه إلى الامبراطور نابليون الثالث ذلك المشروع المشهور لاعادة تخطيط مدينة باريس والذى عمت شهرته الآفاق وانتشرت على أثره فكرة إعادة تخطيط المدن القديمة فى جميع أنحاء العالم.

فكان من الطبيعى أن يتأثر مشروع قاهرة اسماعيل بمشروع هاوسمان الزخرفى رغم اختلاف الدافع لكل منهما وقد ظهر اثر ذلك الإتجاه واضحا فى المساحات الواسعة التى تحولت من برك ومستنقعات الى شوارع وميادين واسعة النطاق التى لايزال يطلق عليها الأحياء الأوربية كذلك فى الطرقات والشوارع المستقيمة التى تخترق الاحياء الوطنية لتصل أطراف المدينة ببعضها.

كما كانت رغبة الخديوى اسماعيل في اقتفاء خطوات باريس أن تحتضن القاهرة غابة أو «أورمان» كما يطلق عليها باللغة التركية أسوة بغابة بولونى فانشأ غابات الجزيرة والشاطىء الغربى والتى أطلق عليها فيما بعد حدائق الأورمان أو حدائق الغابة.

كما شمل برنامج قاهرة اسماعيل ما كانت تحتاجه المدينة من القصور والمبانى العامة والادارية التى كانت فى اشد الحاجة اليها كعاصمة للشرق فاخفى ذلك المظهر الواسع النطاق ما كان يخفيه جوهر المشروع من نواحى الاصلاح فكان أساساً للخطأ الذى وقع فيه كثير من

محطة القاهرة كما كانت أيام الخديوى اسماعيل ومن المعروف أن هذه المحطة نسفت عقب الاحتلال الانجليزى لمصر سنة ١٨٨٢ بسبب انفجار مخزن الذخيرة التى وضعها جيش الاحتلال فى إحدى غرف هذه المحطة وقامت محلها الآن محطة باب الحديد الحالية

المؤرخين المعاصرين عند نقدهم لمشاريع الخديوى اسماعيل وبرامجه الانشائية كما أنها أعطت الفرصة لمن افتروا عليه أن يركزوا تحليلهم لقاهرة الاسماعيل على ناحيه المظهر الشكلى مع تجاهلهم الجوهر الاصلاحى أو الهيكل الأساسى الذى بنى حوله المشروع باكمله

خطت القاهرة بذلك المشروع الاصلاحى مئات السنين الى الامام ولكن تلك النهضة العمرانية لم تعجب مؤرخى الغرب فوصفها أرتور رونيه بقوله :

« أن القاهرة قد تطورت إلى مدينة حديثة فخلت الملابس الافرنجية محل القفاطين الشرقية المريحة واختفت المبانى المنخفضة والطرقات الضيقة بسحرها الشرقى ومشربياتها الخشبية لتحل محلها العمارات العالية والنوافذ الزجاجية المتسعة فمن الآن فصاعدا سوف لا يرى السائح بالقاهرة الا طرقا واسعة مستقيمة وميادين رحبة عظيمة الطول والعرض تقوم على جوانبها تلك المبانى الضخمة التافهة التى يسمونها بالمبانى الرومية » .. هكذا ثار مؤرخو الفرنسيين وغيرهم على قاهرة الاسماعيل وتطورها العمرانى لانها تحولت من اطلال وآثار يعيش أهلها بين انقاضها ليجد السائح الاجنبى شيئا يستلفت نظره بالتفرج اليه .. تحولت الى عاصمة حديثة ليس فيها ما يلفت نظر الاجنبى لانها اصبحت لا تختلف عن أى عاصمة من عواصم دول العالم المتمدينة الكبرى .

فى مثل هذا العام من نصف قرن من الزمان انتقل المغفور له الخديوى اسماعيل باشا الى جوار ربه فى منفاه المطل على البسفور بعد ما حقق للقاهرة ما أراده لها من مكانة بين كبريات عواصم العالم وامكنه فى تلك المدة القصيرة أن يخرج برنامجه إلى حيز الوجود فبذلك تحققت أمنيته الاولى وكانت أمنيته الاخيرة التى رددها على فراش الموت ان يرى القاهرة فى زيها الجديد الذى أفنى زهرة العمر فى نسجها بيديه .

وها هى قاهرة اسماعيل لازالت تختال بذلك الزى باحيائها وشوارعها وميادينها التى تسيطر على تخطيطها المدنى باكمله وتزينها بمجموعة كبيرة من التماثيل تمثل ابراهيم باشا ولاظ أوغلى وسليمان باشا الخ ... ومع ذلك فهى تفتقر إلى تمثال من كان له الفضل الاول فى انشائها وهو تمثال اسماعيل .

ولكن التاريخ المعمارى الذى سجل نهضته العمرانية قد أقام له تمثالا خالدا من اعماله الخالدة .

دكتور سيد كريم
Dr. Sc. Techn. Arch.